المحاضرة رقم04 من 12

عنوان المحاضرة: السلم الحجاجي:

السلم الحجاجي:

المقصود بالسلم الحجاجي هو نظام ترتيب الحجج حسب قوتها، حيث ينطلق هذا المبحث من تصور مبني على تدرج الحجج، من الحجة الضعيفة إلى الحجة القوية، وصولا إلى النتيجة المتوخاة من المرسل، وتكون هذه الحجج داعمة لها، فهناك علاقة تراتبية للحجج يمكن تمثيلها بالمخطط الآتي:

ن: النتيجة

"أ" "ب" "ج" "د" حجج متدرجة القوة تخدم النتيجة "ن"، حيث "د" أقوى حجة، تليها "ج" ثم "ب" ثم "أ".

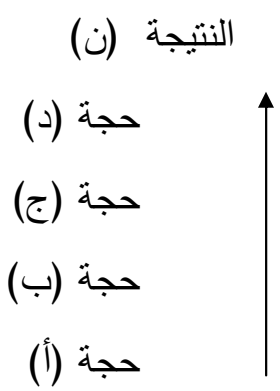

فهذه الحجج تنتمي إلى فئة حجاجية معينة، وتنهض على علاقة تراتبية، لذا فهي

تشكل سلما حجاجيا لخدمة نتيجة معينة[25].

ولا يمكن للسلم الحجاجي الواحد أن يحمل قضيتين متعارضتين؛ لأنه يخدم نتيجة واحدة، حيث تنشأ صياغة سلّمية مقارنة مشتركة في نتيجة واحدة

[25] – ينظر: مثنى كاظم صادق، أسلوبية الحجاج التداولي، منشورات ضفاف، ط1، ص117.

سابقة أو لاحقة تتدرج فيه الحجج حسب قوتها، لذلك فهو يكتفي بقضية واحدة تكون مؤيدة أو معارضة.

وتكمن أهمية السلالم الحجاجية أساسا في "إخراج قيمة القول الحجاجي من حيز المحتوى الخبري، وهذا يعني أن القيمة الحجاجية لا يمكن الحكم عليها بالصدق أو الكذب؛ لأنها لا تخضع لشروط الصدق المنطقي.

ويمكن توضيح ذلك فيما يأتي:

إذا أردنا أن نثبت أنّ إبراهيم مجتهد، فهذه نتيجة نرمز لها ب (ن).

نأتي بحجج نرمز لها ب: (أ، ب، ج) لإثبات النتيجة مثل:

أ- تحصل إبراهيم على علامة كاملة في جميع المواد.

ب-تحصل إبراهيم على علامة كاملة في المواد الأدبية.

ج- تحصل إبراهيم على علامة كاملة في مادة اللغة العربية.

فهذه الحجج يمكن تمثيلها في السلم الحجاجي وذلك كالآتي:

النتيجة (ن): إبراهيم مجتهد في دراسته.

(أ) تحصل إبراهيم على علامة كاملة في جميع المواد.

(ب) تحصل إبراهيم على علامة كاملة في المواد الأدبية.

(ج) تحصل إبراهيم على علامة كاملة في مادة اللغة العربية.

إن هذه الخطاطة تمثل سلما حجاجيا، تشكل الحجة (أ) أقوى حجة، تليها (ب)، ثم (ج)، وهي حجج تخدم النتيجة "ن"، وتكون الحجة الأقوى في أعلى درجات السلم الحجاجي، والحجة الأضعف في أدنى درجاته.

وللسّلم الحجاجي قوانين منها[26]:

– قانون القلب: مقتضى هذا القانون أنه إذا كان أحد القولين أقوى من الآخر في السّلم الحجاجي، فإن نقيض الثاني أقوى من الأول.

ويمكن توضيح ذلك فيما يأتي:

لنفترض أنّ لدينا نتيجة مفادها: محمد كريم، فالنتيجة المضادة هي: محمد ليس كريما.

نأخذ حجتين لإثبات النتيجة الأولى:

أ– قدم كل ما لديه لضيوفه.

ب– قدم نصف ما لديه لضيوفه.

ثم نأتي بحجتين للنتيجة المضادة "محمد ليس كريما":

- أَ– لم يقدم محمد كلّ ما لديه لضيوفه.
- بَ– لم يقدم محمد نصف ما لديه لضيوفه.

ويمكن التمثل للنتيجة والنتيجة المضادة في السلّمين الحجاجيين الآتيين:

السّلم الحجاجي "1"

النتيجة "ن" محمد كريم

[26] - ينظر، طه عبد الرحمان، اللسان والميزان، ص 277. 278.

(أ) قدم كل ما لديه لضيوفه

(ب) قدم نصف ما لديه لضيوفه

- السّلم الحجاجي "2"
- النتيجة المضادة "لا–ن": محمد ليس كريما.

(بَ) لم يقدم محمد نصف ما لديه لضيوفه

(أَ) لم يقدم محمد كل ما لديه لضيوفه

فالحجة (أ) في السّلم الحجاجي الأول أقوى من الحجة (ب) في السّلم نفسه، أما الحجة (بَ) في السّلم الحجاجي الثاني فهي أقوى من الحجة (أَ) في السلم نفسه، حيث تمثل (أَ) الحجة المنفية للحجة (أ)، وتمثل الحجة (بَ) نفي الحجة (ب).

وتقتضي درجات السلم الحجاجي وجود القوي والضعيف والأعلى والأسفل، وهذه السلمية قائمة في اللغة بجميع مستوياتها منها:

1- سلمية المعجم: تبدو السلمية المعجمية أكثر وضوحا وحسبنا مثالا بعض النماذج التي قدمها "ديكرو" في مؤلفه "السلالم الحجاجية" من قبيل الصفة التي تطلق للتعبير عن حالة الطقس "منعش، بارد، قارس" أو "دافئ، ساخن، حار"، وقد يطال السلم الأرقام في تراتبها من الأصغر إلى الأكبر[27].

[27] – ينظر: عز الدين الناجح، العوامل الحجاجية في اللغة العربية، مكتبة علاء الدين، صفاقس، 2011، ط1، ص123.

وعليه فإن المعجم تحكمه سلّمية، ودليلنا على ذلك مثلا درجات الألوان واسترسالها، فقد أحصى الثعالبي في اللون الأبيض عدة أنماط وكذلك اللون الأسود، وليس الأمر ببعيد عن الحركة كذلك، فأفعال الحركة من قبيل: مشى، هرول، جرى... تنم عن سلمية في الحركة في حد ذاتها، لذلك فإن سلّمية المعجم تؤكدها الوظيفة المرجعية للغة، عكس سلّمية الخطاب التي لا نكتشفها إلا بتداخل جملة من المعارف سواء اللغوية أو السياقية أو الموسوعية[28].

2- سلمية الصرف: إن الوظيفة الحجاجية للغة قد تستدعي صيغا صرفية معينة، فالانتقال من صيغة إلى أخرى إنما هو في الحقيقة انتقال من درجة إلى أخرى في السلم الحجاجي. فما توفره اللغة من صيغ صرفية كاسم الفاعل والصفة المشبهة وصيغ المبالغة يؤكد سلمية اللغة، وليس النظام الصيغي وحده يقوم على السلمية، بل إن الأمر يتجاوزه إلى نوعية الجموع كجمع القلة وجمع الكثرة... وإلى أصناف الحركات قوة وضعفا[29].

3- سلمية النظام البلاغي:

إن سلمية النظام البلاغي هي كل ما يوفره المكون البلاغي للملفوظ من قيمة حجاجية مضافة ليحتل درجات عليا في السلم، وبالتالي يدفع المتلقي إلى الإذعان والتسليم. فمن مصلحة الخطاب الحجاجي تقوية طرحه بالاعتماد على الأساليب البلاغية والبيانية التي تظهر المعنى بطريقة أجلى وأوقع في النفس؛ لأن مجال الحجاج هو الاحتمال والتوقع[30].

---

[28] - ينظر: المرجع نفسه، ص124.

[29] - ينظر: عز الدين الناجح، العوامل الحجاجية في اللغة العربية، ص126.

[30] - ينظر: صابر الحباشة، التداولية والحجاج مداخل ونصوص، صفحات للدراسات والنشر، دمشق، ط1، 2008، ص 50.

من هنا يمكن القول إن القيمة الحجاجية للملفوظات مبثوثة داخل النظام اللغوي في حد ذاته، فمنها ما يرتبط بالمعجم ومنها ما يتعلق بالصرف ومنها ما يتضمنه المكون البلاغي.